

اهتماماً به، فأطلقه أولاً، ثم جعل المقيد بدلاً من ذلك المطلق، تفخيماًً لأمر ذلك الأيلاف، وتذكيراًً لعظيم المنة فيه، والاقرب أن يكون قوله ((لأيلاف قريش)) عاماًً يجمع كل مؤانسة وموافقة كان بينهم، فيدخل فيه مقامهم وسيرهم وجميع أحوالهم، ثم خص أيلاف الرحلتين بالذكر، لأنه قوام معاشهم، وقد نبه بأيلاف إلى أن من شرط السفر المؤانسة والالفة، لأنه أحوج إلى مكارم الأخلاق من الإقامة.

وما كان للقرآن الكريم أن ينظر إلى اشتغال قريش بهذه التجارة غير هذه النظرة، لأنه حاء بدين ينهض بها وبالعرب جميعاًً، وينقلهم من البداوة إلى الحضارة، ومن الأمية إلى العلم والحكمة، ومن الفوضى إلى النظام والدولة والتجارة من أهم أركان الحضارة، ولا غنى عنها في قيام الدولة.

وأين من هذه النظرة الكريمة، نظرة الشعر إلى هذه التجارة، حين ضاق شاعر قرشى من اشتغال قومه بها، وانصرفهم عن الاشتغال بالحروب التي كانت العرب تشتغل بها، فترفع من ذكر أبطال الحروب، وتبنى لهم ما تبنى من المجد، وليس للتجارة مثل هذا الشأن.

وهذا الشاعر هو عبدالمطلب بن الزبير بن العبداء من شعراء مكة، فقد هجا قومه قريشاًً لاشتغالهم بهذه التجارة، فأصبح الناس يوماًً بمكة، وعلى باب الندوة مكتوب:

ألهى قصيداًً عن المجد الأساطير *** ورشوة مثلها ترشى السفاسير
وأكلها اللحم بحتاًً لا خليط له *** وقولها رحلت عيرٌ أتت عير

فأنكر الناس ذلك، وقالوا: ما قالها إلا ابن الزبير، وأجمع على ذلك رأيهم، فمشوا إلى قومه بني سهم، وهم بطن من قريش، وكان مما تنكر قريش وتعاقب عليه أن يهجو بعضها بعضاًً، فقالوا لبني سهم: ادفعوه إلينا نحكم فيه بحكمنا قالوا: وما الحكم فيه؟ قالوا: قطع لسانه.

قالوا: فشأنكم، واعلموا وإني لا يهجوننا رجل منكم إلا فعلنا فيه مثل ذلك.